# المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الحادي عشر بعد المئة

١ أغسطس سنة ١٩٤٧ — ٢٨ رمضان سنة ١٣٦٦


## بين التصحيح والتوضيح

### حول نقد كتاب « الله »

نظر الأستاذ عباس محمود العقاد في النقد الذي تناولنا فيه كتابه « الله » في العدد الماضي من المقتطف ، [1] ومضى يناقش فيه مناقشة العالم الذي يحاول ، كما ينبغي ان يحاول العلماء الوصول الى الحق من طريق التساجل المنطقي الصِّرف ، فسلَّم معنا بكثير مما خالفناه فيه ، وخالفنا في أشياء مضى يعرضها ويوضحها بما عهدناه فيه دائماً من بيان المعارة وجاءة الفكر ونحن إذ نحمد للأستاذ هذا النهج ، نجدنا أكثر حمداً إذ يلتحي أديب مفكر مثله هذا المنحى وينزع هذه النزعة ، كما نود أن يصبح ضمير الناس أكثر يقظة ، نرى نابهون منهم أن في مجال التأمل الفلسفي شيئاً أو أشياء جديرة بأن تكون موضعاً للاستغراق في الفكر أو للموازنات المنطقية .

والحق أني أخالف الأستاذ العقاد في كثير مما ذهب اليه في ملاحظاته ورُدُوده ، بل أعتقد أنه قد جانب الصواب في كثير منها ، فلنأخذ من ثمت في النظر في كلٍّ مما عرض له الأستاذ في مقاله [2] .

### ١ — الاستحياء

صرف الأستاذ هذا اللفظ ليقابل مصطلح animism في اللغات الأعجمية ، وذهبت الى أن حقيقتها الفكرة الروحانية ولا أزال عند رأيي ، كما استشهدت على ذلك بتعريف معجمي ثبت .

---

(١) عدد يوليه سنة ١٩٤٧ (٢) الرسالة العدد ٧٣٥ الصادر في ٤ من أغسطس سنة ١٩٤٧

يقول : الأستاذ « إن كلمة « أنيميزم » لها معانٍ كثيرة تختلف باختلاف العلوم التي تدخل فيها ، وهي في علم وظائف الأعضاء غيرها فيما وراء الطبيعة وغيرها في علم أصول الانسان » اه .

ولست أعرف حتى الآن ان هذا المصطلح قد جرى بأي معنى في علم الوظائف أو علم وظائف الأعضاء كما يقولون ، ولو ان الأستاذ يدلنا على شاهد واحد يؤيد ما ذهب اليه ، حمدنا له ذلك حمداً كثيراً .

والحق أن هذا اللفظ لا يدخل في استعمال شيء من العلوم البحتة ، وإنما هو كثير الدوران في علوم نظرية أو علوم عملية، وهو فيها جميعاً يدل على الروحانية أو القول بالروح . جاء في المعجم الفلسفي الذي طبع باشراف « داجوبرت روز » Dagobert D. Runes وهو من أحدث المعاجم ما يلي :

Animism : (Lat. anima = soul) . The doctrine of the reality of souls.

(1) Anthropology (a) the view that souls are attached to all things either as their inner principle of spontaneity or activity, or as their dwellers. (b) The doctrine that Nature is inhabited by various grades of spirits (spiritism).

(2) Biology, Psychology : the view that the ground of life is immaterial soul rather than the material body.

(3) Metaphysics : the theory that Being is animate, living, ensouled.

(4) Cosmology : the view that the world and the astronomical bodies possess souls. See pp. 12-13.

ومن هذا نرى أنّ المصطلح في علم الإنسان إمّا أن يدل على اعتقاد في أن الأرواح لها علاقة بالاحياء ، وإمّا على أن الطبيعة مأهولة بطبقات متفرقة من الأرواح ( وهذا ما بحث فيه تايلور) . وهو في علم الأحياء وعلم النفس يدل على القول بأن أساس الحياة روح غير مادّي فضلاً عن الجسم المادّي . وفي فلسفة الكون يدل على أن العالم والأجرام السماوية لها أرواح . فهو في جميع مدارجه يدل على الرّوحانية ، وفي جميع استعمالاته يدل على الروح أو الفكرة فيها مطابقة على مختلف هذه العلوم .

وكذلك نرى المعنى في معجم بولدوين الفلسفي وفي المعجم الانسيكلوبيدي وفي معجم ستنفوري وهي من أمهات المظانّ العلمية والأدبية ، فاذا لم نأخذ عنها فعن أي شيء نأخذ ؟ أما القول بأن مثل هذا المصطلح لا يرجع فيه الى المعجمات ، وإنما يرجع فيها الى معنى المذهب الذي تدل عليه كما يقول الأستاذ العقاد ، فقول لا حقيقة له من جهات عديدة . منها أنه ليس هناك شيء يقال له « معنى المذهب » فالمذاهب لا تقوم على معانٍ وإنما تقوم على نظريات أو فكرات ، والطريق السليم الى تبيانها هي المصطلحات المصورة المعنى المحدودة

الدلالة . ومنها أن المصطلحات اذا رجع في فهمها إلى ما ينقل مذهب من المذاهب الى فكر كل قارىء أو باحث من غير تقيد بالمعنى المحدود للمصطلحات ، أصبح الأمر فوضى ، بل أصبح عماء ، بل تعذر أن يقوم مذهب عقلي على أساس ثابت . ذلك بأن المصطلح المحدود الدلالة هو الأداة الثابتة في تكييف المذاهب ، ولم يخرج عن ذلك مذهب واحد من المذاهب على مدار العصور .

من هنا يقول الأستاذ العقاد — « إن المعنى المقصود في مذهب تيلور أن الهمجي كان يؤلّه الأشياء والظواهر الطبيعية ( يقصد الظاهرات الطبيعية ) لأنه كان كالطفل الذي يضرب الباب اذا اصطدم به لأنه يحسبه في حكم الاحياء ( يقصد أنه من ذوات الأرواح التي تبعث الحياة ) . ونحن لا نقول ( الأستاذ العقاد ) إن الطفل يضرب الباب لأنه يؤمن بالفكرة الروحية وإنما نقول إنه يضربه لأنه يؤمن بالاستحياء ، أو لأنه يستحيي الأشياء التي ليست لها حياة » . اه

وفي هذه العبارة ناحيتان : الأولى رأي الأستاذ « تيلور » ، والثانية وجهة نظر الأستاذ العقاد . فرأي تيلور على أن الهمجي يضرب الباب لأنه يحسبه حيًّا أي أن فيه روحاً : وتلك هي الروحانية بعينها . أمّا رأي الأستاذ العقاد فلا يقول بأن الطفل ( ويقصد الهمجي الذي هو كالطفل بحسب منطوق العبارة الأولى ) يضرب الباب لأنه يؤمن بالفكرة الروحانية ، بل يضربه لأنه يؤمن بالاستحياء أي أنه يستحيي الأشياء التي ليست لها حياة . وإذن يكون رأي تيلور هو في نطاق «الانيميزم» حقًّا ، أي في نطاق الفكرة الروحانية . أما رأي الأستاذ العقاد فخارج عن ذلك النطاق ولا يدخل في باب الانيميزم ، وبذلك يصبح اطلاق معنى الانيميزم عليه خرق لنطاق المعنى المحدد لهذا المصطلح في العلوم النظرية . وللأستاذ العقاد رأيه ، ولكنه ليس حرًّا في أن يقول إن الانيميزم دالٌّ عليه . واذن فليبحث له عن مصطلح جديد يضعه له ، وقد تكون أقرب كلمة للتعبير عنه في الانجليزية هي : Encauling

ولا يخفاء أن مذهب تيلور وهو مذهب معروف منذ زمان طويل ، يختلف عن المعنى الذي أراده الأستاذ العقاد اختلافاً مبيناً . فالهمجي على مذهب تيلور يعتقد بأن للاشياء أرواحاً تسخرها ، لا انه يستحييها كما يريد الأستاذ العقاد أن يقول . ومن ناحية اللغة نعرف أن الألف والسين والتاء تفيد إضافتها إمّا الطلب وإما الصيرورة . وكل من المعنيين بعيد عما يعني بالروحانية : Animism ، فان الهمجي وفقاً لهذا المذهب لا يطلب من الأشياء أن تصبح حية ، ولا هو ينتظر أن تصير حية . وانما هو يعتقد أن أرواحاً تلابسها فتسخرها لمشيئتها.

فاذا انتقم منها أو صبّ عليها غضبه ، فانما يفعل ذلك وهذا المعنى قائم في مخيلته . ولكنه لا يستحيبها : أي انه لا يطلب منها أن تحيا ولا ينتظر أن تصير حية .

## ٢ — تعديد الآلهة

سلّم الاستاذ العقاد معنا بأن لفظة Polytheism ترجمتها الشرك ، ثم عقب على ذلك بقوله : —

« ولكنك لا تقول إن القبائل العبرية كانت تؤمن بالشرك لأن الايمان بالشرك يقتضي الايمان قبل ذلك بوحدانية الله . ولا معنى لأن تصف انساناً بأنه مشرك ، قبل أن يظهر على الكرة الأرضية دين يدعو الى التوحيد ، أو يدعو الى الاله الواحد الذي يدعو الى غيره أولئك المشركون » . اه .

وفي هذه العبارة جهات من النقد .

أولاً — إن القول بأن الشرك حالة لا توصف بأنها كذلك قبل ظهور دين يقول بالتوحيد ، أمرٌ ينطوي على مغالطة صريحة . فاذا فرضنا أن دين التوحيد لم يظهر في هذا الوجود ولا عرف الناس في هذه الكرة شيئاً يقال له « وحدانية الله » ، أيمنع ذلك لغة أن نسمي الحالة الأولى حالة شرك أو اشراك ؟ وهل نحتاج الى تحديد معنى « التوحيد » و « الوحدانية » ليكون صرفنا كلمة شرك على حالة تكثير الآلهة أمراً مستقيماً مع منطق اللغة ؟

ثانياً — لم يكن هناك دين يقال له الشرك أو الاشراك ، وانما كانت هناك أديان كثيرة لكل دين منها آلهته وطقوسه وعباداته ومتدساته ومحرماته (أي طواطمه وطاباته) ، وانما يجمع هذه الأديان جميعاً حالة واحدة تشملها هي حالة الشرك أو الاشراك . وعلى هذا ينتفي أيضاً القول بأن هناك إيماناً يقال له « إيمان الشرك » . وإنما الايمان يكون بدين ، حالته المكيفة له هي الشرك . كما نقول ان الاسلام دين حالته المكيفة له هي التوحيد .

ثالثاً — ان ظهور أديان تقول بالتوحيد أمرٌ لم ينقص من حالة الشرك ولم يزد إليها شيئاً . وكل ما في الأمر أنّ « التوحيد » جعل معنى « الشرك » أكثر تحديداً لا غير .

رابعاً — يقول الأستاذ العقاد :

« فلو قال لنا مؤرخ إن الهمج اشركوا قبل أن يؤرخ لنا ديانات التوحيد لكان كلامه هذا خطأ في التاريخ وخطأ في التعبير » اه .

ولست أرى في القول بأنّ الهمج أشركوا بمعنى انهم نشئوا ومضوا مشركين أي خطأ لا في التاريخ ولا في التعبير . ذلك بأنهم أشركوا بالفعل ، بمعنى أنهم أشركوا مع إلٰه كبير

آلهة صغيرة ، أو انهم جعلوا لكل ظاهرة أو حالة إلاهاً . أو بمعنى أنهم أشركوا آلهة كثيرة في تدبير الطبيعة والحياة أمّا القول بأن إنساناً كان موحداً ثم أشرك ، أو جماعة كانت موحدة ثم أشركت ، فذلك معنى آخر بالمرة ، بعيدٌ عن المعنى الأول بُعد الأرض عن السماء .

وقوله تعالى : « ولأمةٌ مؤمنة خيرٌ من مشركة ولو أعجبتكم » : يقتضي وجهين : الأول أن تكون موحدة ثم أشركت ، والثاني ان تكون مشركة لم تعرف التوحيد . « ففي الأمر الذي فيه تستفتيان » .

## ٣ — أسماء وحروف يونانية ولاطينية

يحتاج الكلام في هذه المسألة الرجوع بعض الشيء الى مسألة تاريخية .

ففي دور الانعقاد الرابع ألّف مجمع فؤاد الأول للغة العربية لجنة من بعض حضرات أعضائه لتنظر في شأن كتابة الأعلام اليونانية واللاطينية بحروف عربية . وقد اشتركت في هذه اللجنة موظفاً ، فأعددت لها البحوث واتخذت على ضوئها القرارات ، بعد ان بحثت اللجنة ذلك الأمر بحثاً دقيقاً مستفيضاً ، وانتهت عند قرارات تسهل على المعرّبين تعريب تلك الأعلام بما يقرب جرسها في اللغة العربية ، من نطقها في تينكما اللغتين .

أما الذي حفز المجمع على أن يفكّر في ذلك ان كل مترجم من اللغات الأوربية يرسم الأعلام في العربية منطوقة بحسب اللغة التي يترجم منها فالمترجم من الانجليزية ينقل الأعلام كما ينطق بها الانجليز ، والمترجم من الفرنسية ينقلها كما ينطق بها الفرنسيون وهكذا في حين أن الواجب ان يوحد النطق بهذه الأعلام فترسم في العربية رسماً يقرّب جرسها من النطق بها في لغتها الأصلية .

ولقد قرأت في كتاب مطالعة للمدارس الثانوية أقرته وزارة معارفنا الموقرة ، ويحمل غلافه أسماء خمسة من أعلام أدبائنا ، مقالاً رسم فيه اسم قائد يوناني بأربعة رسوم مختلفة . وكفى بذلك بلبلة لطالب ثانوي لم يشب بعد عن الطوق لهذا شرعت في وضع معجم في الأعلام القديمة استهديت في وضعه بالقواعد التي أقرّها المجمع وزدت اليها قواعد أخرى ، وربما شرعت في طبعه قريباً . فان العربية في حاجة قصوى إليه .

فاذا كنت قد نبهت الى هنات درج عليها صديقي الأستاذ العقاد ، فذلك سببها ، وهذا منشؤها .

ولقد نسي الأستاذ أنه استعمل في كتابه لفظين يرسم أحدهما في الانجمية المدينة

Krouds والثاني : Chronos قال في ملاحظاته : « أو كقولنا كرونوس بدلاً من إخرونوس » اهـ.

واذا رجعت الى صلب كتابه رأيت الأمر على عكس ذلك. جاء في ص ١٣١ من الكتاب :

« فلما قال الأقدمون إن أورانوس إله السماء خصاه ابنه كرونوس إله زحل — كانوا يفهمون من ذلك ان كوكب زحل هو مناط النظام في السيارات ، وأنه قادر بذلك على تقسيم دورات الفلك وتقسيم الفصول والسنين . ومن هنا التقابه بين كلمة Krones كرونوس إله زحل وكلمة كرونوس : Chrone أي إله الزمان ، كأنهم يقولون إن الزمن قد حدّ من حركات الأفلاك والسيارات » اهـ .

والحقيقة ان اللفظ الأول يجب ان يعرّب « إثرونوس » ، والثاني « إخرونوس » . وذلك يبدأ في اليونانية بحرف « كپّا » ، وهذا يبدأ بحرف « خي ».

واذا رجعت الى معجم لاطيني في الاعلام القديمة لما عثرت فيه على أسماء تبدأ بحرف « K » الحديث لأنه لم يعرف في تلك اللغة ، وانما عرف حرف « C » وكان ينطق « كافا » فرسم « كرونوس » عند المتبتين هو Cronos في اللاطينية ( Kronos في اليونانية ) . كذلك لم أقف فيما بين يديّ من المراجع على إله اسمه « إخرونوس » هو إله الزمان ، وإنما في اللغة اليونانية أصل هو : chronos ومعناه « زمن » ، دخل في تركيب كثير من الألفاظ المستحدثة مثل chronometer و chronology وغير ذلك . فلو هدانا الأستاذ الى الأصل الذي أخذ منه هذا القول ، لبكرنا له ذلك كل الفكر .

أمّا أن يأخذ عليّ الأستاذ أني رسمت اسم « أوغست كرنت » بالغين لا بالجيم ، فغالب ظني أنّ رسمي هو الصحيح وان لم يكن في الفرنسية حرف « الغين » . فمن قبل قال جميع الكتاب أوغسطوس قيصر وشهر اوغسطس والقديس أوغسطين ، ولا أتذكر أني رأيت كاتباً عربيّاً رسمه أوجسطين إلاّ لماماً وعلى خطأ

## ٤ — الثنائية والجدلية

يقول الأستاذ المفاد :

« ويعيب الأستاذ مظهر ترجمة الديالكتيك Dialectic بالثنائية ، ويفضل ترجمتها بالجدلية . وهو في ذلك على خطأ عظيم من جهة اللفظ ومن جهة المعنى ، لأننا رددنا « دیا : Dia » الى معناها الأصيل وهو التثنية ، ومنها الآن كلمة Deux بالفرنسية Two بالانجليزية » اهـ .

أقول : ولست مخطئاً لامن جهة اللفظ ولا من جهة المعنى ، وإن الخطأ كل الخطأ هو في ما يقول به الاستاذ العقاد . فان في اليونانية أصلين : أحدهما dia والآخر duo والأصل الثاني هو الذي أخذ منه deux الفرنسية و Two الانجليزية ، وليس لهذين اللفظين أية علاقة بالأصل الأول dia الذي دخل في تركيب : dialect ; إن لفظ dia معناه في العربية « بين » أمّا لفظ duo فمعناه « اثنان » ، وهذا لم يدخل في تركيب : dialect ، بل ولا تمت إليه بأية صلة . وإليك الشواهد القاطعة .

(1) Two : Century Dictionary p. 6558-Vol. VI.

Lat : duo : old French : doi, dus, deus, deux; new French : deux. Greek : duo.

ومن هذا الأصل duo أخذ لفظ dual أي ثنوي أو ثنائي : وإليك الشاهد :

(2) Dual : Century Dictionary, p. 1780, Vol. II

L. dualis; Greek : duikos : dúo = two

أما لفظ ديالكت dialect فيدخله الأصل dia ومعناه « بين » وهو الذي يخيّل للاستاذ العقاد إن معناه « اثنان » حيث تشابه عليه الاصلان dia و duo : وإليك الشاهد :

(3) Dialect : Century Dictionary, p. 1590, Vol. II

L. dialectos, dialectus : Greek : dialegein = distinguish, choose between : from Greek : dia = between + legein = choose, speak

Greek : dialectós = discourse, discuss, argue, use a dialect or language.

إذن فلفظ « ديالكت » — dialect لا يدخله أصل يوناني أو لاتيني فيه معنى «الاثنين» ولا « الثنوية » ولا « الثنائية » ، بل يدخله أصل فيه معنى « البَينيّة » . فلفظ «ديالكت» مركب من الهجاء ديا « dia » : ومعناه « بين » ، والحرف ليجين legein ومعناه يختار أو يتحدث ، وتخريجه « التّخيّر أو التحادث » فأين معنى الثنائية في ذلك ؟ وإذن يكون تعليل الأستاذ العقاد من الجهة اللغوية لا أصل له ولا يستند إلى أي أصل أعجمي على إطلاق القول ، ولم يبق إلاّ التخريج الفلسفي الذي يقول فيه الأستاذ العقاد ما يلي :

« ولأن مذهب كارل ماركس وهو « الديالكتك » يقوم على ان المادة ثنائية الخصائص تشتمل على الخاصة ونقيضها ، ولا يقوم على أن المادة جدلية أو مجادل بعضها بعضاً في أطوارها المتتابعة » . اهـ .

ونقول بأن الذهاب إلى أنّ مذهب كارل ماركس هو « الديالكتك » أمرٌ لم يقل به

غير الأستاذ العقاد على ما أذكر وبقدر ما يتسع له علمي . على اني أكاد أجزم به . ذلك بأن مذهب ماركس هو « المادية الجدلية » — « ديالكتيك ماتيريالزم » ، وهنالك ما بين المذهبين .

بدأ مذهب الجدل أو المذهب الجدلي بأرسطوطاليس ، وقد فرّق بين التعقل الجدلي Dialectical Reasoning الذي ينشأ بالقياس المنطقي من آراء مسلّم بها عموماً ، والتعقل الاثباتي Demonstrative Reasoring الذي يبدأ بمقدمات أولية صحيحة . ولم يدّع ارسطوطاليس انه أول قائل بالمذهب ، بل ردّه الى زينون الإلياويّ . وان كان الواقع ان مذهب الجدل بطريق المحاورة قد نشأ مع سقراط وتلميذه أفلاطون . ثم تحيز في فلسفة « كانت » ومن بعد « كانت » في فلسفة « هيجل » ، ومن « هيجل » أخذ ماركس وانجلز ، ومعنى أخذا انهما استندا الى جدليات « هيجل » في وضع مذهب ماديّ ، طبقاد على التاريخ باعتباره من خلق العوامل الاقتصادية . ويطول بنا البحث اذا نحن أردنا أن نبيّن وجه العلاقة بين هيجل وماركس ، فكفانا بأن نبين المعنى الحقيقي الذي تنطوي عليه « المادية الجدلية » وهي مذهب ماركس . ذلك بأنك اذا قلت الجدلية وحسب ، أخرجت من ذلك المجال ماركس ومذهبه .

يتألف مذهب ماركس من شقين : الأول « المادية » والثاني « الجدلية » ، ومن تضايفهما تخرج باسم المذهب كاملاً . فما المقصود بالمعنى من الشقّين ؟

يقصد ماركس « بالمادية » من ناحية وجودية صرفة ان المادّة والطبيعة والدنيا المنظورة هي في جوهرها حقيقة واقعة قائمة بذاتها ، ولا تستمد حقيقتها من أية قوة كانت سواء أكانت هذه القوة فوقطبيعيّة أم استشرافية ، كما لا يتوقف وجودها على عقل الانسان ، وانه من المسلم عليه أن المادة وجدت قبل نشوء العقل البشري ، سواء أمن ناحية الزمان أم من ناحية المنطق ، بمعنى أن العقل لم يظهر إلاّ بحكم تطوّر مادي ، وإن المادّة ينبغي أن تفسر بمقتضى ذلك . وان المكان والزمان يجب أن ينظر فيهما باعتبارهما صورتين تتوقفان على وجود المادّة (١) .

( البقية في باب الاخبار العلمية ص ٢١٠ )

---

(1) The Dictionary of Philosophy ، Dagobert D. Runes, 1945, p. 79.